جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم الفلسفة

أولى ماستر تخصص فلسفة غربية حديثة و معاصرة

مقياس فكر جزائري 02 السداسي الثاني 2024-2025

الأستاذة شريقي أنيسة

المحاضرة الخامسة : المفكر مالك بن نبي

" لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار"

مالك بن نبي

الأفكار العظيمة التي لها قيمة علمية و فكرية لا يمكن ان تتأثر قيمتها مهما مرت عليها السنين بعظمتها و قوتها تبقى حاضرة على مر التاريخ و نجد المفكر و الفيلسوف الجزائري "مالك بن نبي" ضمن قائمة أهم المصلحين في العالم العربي عامة و العالم الإسلامي خاصة و أفكاره كلها كانت تصب في التغيير الحضاري، وأبدع مشروعا فكريا متكاملا للتغلب على مشكلات الحضارة و استلهم أفكاره من القران و ، و السنة و عمد مالك بن نبي من خلال أفكاره أن يواكب العصر و العلم وهو ميدان الفكر الحضاري ، و هاته الأفكار كانت تصب في القضايا الأساسية للمجتمع و هذا من اجل تغييره ، لذلك جاءت أفكار مالك عابرة للحدود، تحدي بذلك كل العوائق و الحواجز التي كانت تقف في وجه أفكاره ، وفي إطار لم الشمل العالم الإسلامي .

مالك بن نبي قامة من قامات الفكر والفلسفة فهو فيلسوف الحضارة و التغيير وأيقونة الفكر الإسلامي والعربي، حاول إعطاء مفهوما جديدا للحضارة من خلال فكرة التغيير و اعتبر أن هذا لن يحدث إلا عن طريق التربية وهو ما يجعلنا نبحث في التربية والتغيير فهما متلازمان، ومن هنا انطلق إلى وصف الأوضاع الاجتماعية التي كان يعيشها العالم الإسلامي و العمل على تقديم حلول يمكنها أن ترتقي بالمجتمع و أن تحرره من المشاكل التي يتخبط فيها، و في هذا الطرح نسلط الضوء على مشروع التغيير الذي أسسه مالك بن نبي من أجل بناء الفرد و المجتمع في تأسيس الحضارة الإسلامية و الالتحاق بركب الدول المتقدمة.

مولده و نشأته:

عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ولد في 01 جانفي 1905 بولاية قسنطينة مدينة الجسور المعلقة شرق الجزائر، انتقلت أسرته وهو ما يزال طفلا صغيرا إلى ولاية تبسة وهناك تابع دراسته القرآنية إلى جانب مواصلته الدراسة الابتدائية بالمدرسة الفرنسية ثم الإعدادية التي تخرج منها بتفوق مما أهله للحصول على منحة لإكمال دراسته الثانوية بقسنطينة لتبدأ رحلته العلمية .

وقد تأثر بالمناخ الثقافي الذي كان سائدا في منطقة قسنطينة فكانت تنتشر فيها روح الإصلاح في الفكر العربي فقد كان يحضر دروس بمجالس الفقه للشيخ ابن العابد ودروس النحو العربي و الصرف على يد الشيخ عبد المجيد الذي أثر في تكوينه الفكري وغرس فيه حاسة النقد الاجتماعي ،إضافة إلى تأثره الواضح بأفكار العلامة عبد الحميد بن باديس الإصلاحية المستقلة إذ أن المحاولات التي سبقته في الصلاح كانت فردية.

خاصة بالفكر الثوري ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر، وكان مالك بن نبي قد تعرف على "مجموعة من تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث كانوا ينافحون عن الإسلام في البعثة الانغليكانية ،وكان مالك يأتي أيضا ليناقش في الموضوعات العلمية و الدينية"[1] ، ولا نلاحظ اختلافا كبيرا بين منهج مالك بن نبي في التربية والحركة الإصلاحية الاجتماعية و بين منهج ابن باديس فهدفهما كان واحدا وهو الإصلاح والتغيير من خلال الفرد الذي يلعب دورا أساسيا في المجتمع.

بعد تخرجه من الثانوية سنة 1925 سافر مع صديق له إلى فرنسا للبحث عن عمل فكانت تجربته فاشلة فعاد مجددا إلى قسنطينة في رحلة البحث عن عمل ليشتغل في محكمة افلو[2] 1927 وهناك كانت بدايات احتكاكه بالفئات البسيطة من الشعب و الوضع الذي كانت تعيشه البلاد آنذاك .

لكنه سرعان ما استقال من منصبه وكان ذلك سنة 1928 نتيجة مشاكل في العمل وفي عام 1930 عاد مرة أخرى إلى فرنسا وهي بخلاف رحلته السابقة التي قام بها في البحث عن عمل فكانت هذه المرة رحلة علمية وحاول الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، لكنه لم ينجح في الدخول للمعهد، فحسب مالك بن نبي أن الدخول لهذا المعهد لم يكن يخضع لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي" لقد طلبني مدير المعهد، وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يشعرني بعدم الجدوى من الإصرار إلى دخول معهده فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة

---

[1] عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للابحاث و النشر،ط1 ، بيروت، 2012،ص 77.

[2] المرجع نفسه ، ص 81.

:إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة لمسلم جزائري لمقياس علمي و إنما لمقياس سياسي"[3] .

خاصة بالنسبة للجزائريين لم يكن يسمح لهم بمزاولة مثل هذه الدراسات وأخذ العبرة من ذلك بخصوص فكرة الاستعمار فاضطر للتعديل في أهدافه وغاياته فالتحق بمدرسة اللاسلكي وقد غيرت فيه هذه الدراسة و" وكان الانتساب إلى تلك المدرسة على درجات و تتطلب كل درجة منها مستوى معينا من الإلمام بالرياضيات فقرر الاستعداد لتلك الدراسة خلال الصيف بدراسة ما ينقصه من الرياضيات فكانت تلك بدايته معها" [4].

وهذا ما جعله متمكنا من الحساب والهندسة والميكانيك والكهرباء وجعله ينتسب لمدرسة اللاسلكي، وبالتالي غيرت هاته المدرسة من فكر بن نبي وأصبح ملما بهذه العلوم، لكنه تركها والتحق بمدرسة الكهرباء و اللاسلكي وأقبل على الدراسة فيها خاصة في الرياضيات و قد تخرج منها كمساعد مهندس كهربائي 1935 وهذا ما جعله متخصص في التكنولوجيا وأصبح موضوعه تقنيا خالصا.

في هذه الفترة انغمس في الحياة الفكرية واختار في هذه الفترة الإقامة في فرنسا و قد تزوج بفرنسية لتسلم بعد ذلك " وقد تولى الله الأمر فهداني إلى زوجي وهداها هي،فسمت نفسها خديجة"[5] ،فعاشت معه ما كان يعانيه من تضيق وتعسف من قبل الاستعمار وفي هاته الفترة حاول ممارسة العديد من الأعمال إلا انه لم يوفق فيها بسبب محاربة الفرنسيين لأبناء مستعمراتهم ، لهذا عاد إلى تبسة لكن لم ينجح في ذلك فقرر الهجرة مرة أخرى إلى فرنسا سنة 1939.و بقي فيها وانغمس في الحياة الفكرية و شرع يكتب العديد من المؤلفات المهمة قفوكانت مرتبطة بالعالم الإسلامي فأصدر كتابه "الظاهرة القرآنية" سنة 1946 .

و بعده كتابه "شروط النهضة "سنة 1949 وفي كتابه هذا وضع مالك بن نبي الحضارة على شكل معادلة رياضية واعتبر أن الحضارة تساوي إنسان زائد تراب زائد وقت، و طرح فيه فكرة محورية وهي مفهوم **" القابلية للاستعمار"** و كذلك كتابه "وجهة العالم الإسلامي 1954 " وبقي في فرنسا إلى غاية 1954 بعد الإعلان عن اندلاع الثورة الجزائرية ليهاجر مرة أخرى إلى مصر من أجل المشاركة في الأمور السياسية للثورة الجزائرية تاركا زوجته التي رفضت المغادرة معه من فرنسا إلى مصر وتعد هاته الفترة من أغنى المراحل في عطائه الفكري حيث بدأ يحاضر في عدد من المعاهد و الجامعات و رحبت به النخبة المثقفة في مصر و ألف فيها العديد من الكتب منها "فكرة الإفريقية الأسيوية سنة 1956 وفي هذه الفترة شاع صيته ليس في مصر فحسب بل في العالم العربي ككل.

---

[3] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد قرن ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، ص 216.

[4] عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي حياته وفكره عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي حياته وفكره ، ص 186.

[5] المصدر نفسه ، ص 236.

و بعد مرور فترة من الزمن في مصر تزوج مالك بن نبي من سيدة جزائرية للمرة الثانية و بعدها قرر العودة إلى الجزائر سنة 1963 وقد عين مديرا للتعليم العالي 1964 إلى غاية تاريخ تقديم استقالته سنة 1967 ليتفرغ بعد ذلك للعمل الفكري و الإصلاح و التوجيه وبدأ يكتب مذكراته بعنوان " مذكرات شاهد قرن" سنة 1970 حتى وافته المنية في سنة 1973 تاركا وراءه إرثا قيما من الأفكار عالجها في مؤلفاته.

مؤلفاته:

تناول مالك بن نبي أهم القضايا و المشكلات التي يعاني منها العالم المتخلف وحاول معالجتها وهذا رغبة منه في الالتحاق بالركب الحضاري وقد ترك مؤلفات كبيرة ولها قيمة كبيرة في الوسط الفكري و الثقافي نذكر منها:

- الظاهرة القرآنية.1946
- شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في1957.
- وجهة العالم الإسلامي.1954
- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة...الشعب الجزائري يباد 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي 1958.
- مشكلة الثقافة 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960 ألحق بكتاب تأملات.
- تأملات 1961.
- في مهبِّ المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.
- مذكرات شاهد للقرن _الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.
- الإسلام والديمقراطية 1968.
- مذكرات شاهد للقرن _الطالب 1970.
- معنى المرحلة 1970.

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970 "ويضم خلاصة و عصارة ما توصل إليه مالك بن نبي وأعاد ليؤكّد ما ذكره من قبل أي أثبت وأكّد ما ذكره خلال تجربته مع الأفكار والتي ظلّ يبثّها طوال حياته" [6]
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين وهي محاضرة ألقيت في 1972.
- بين الرشاد والتيه 1972 بطرابلس.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1972.
- من أجل التغيير.

تأسيس الأفكار مع مالك بن نبي و تأسيس الحضارة

استطاع مالك بن نبي من خلال ثقافته الغربية الكبيرة و الثقافة العربية الإسلامية ان يكون مبدعا وسلطان في أفكاره العميقة وهذا كله يصب في فكرة أساسية وهي البناء الحضاري في العالم الإسلامي فحاول أن يتناول في كتبه مفاهيم عديدة ومحورية كالحضارة و الثقافة و النهضة فهذه المفاهيم الأساسية لفكر بن نبي وأبدع فيها وجعلها تعنى بالتوسع و القبول في الوسط الفكري .

التغيير عند مالك بن نبي:

وانطلق مالك بن نبي من فكرة التغيير داخل المجتمع أو ما يصطلح عليه "بالتغيير الاجتماعي " التي تبدأ من الإنسان و تنتهي إلى الحضارة " فان أول ما يجب تغييره هو الفرد في حالته الطبيعية التي خلق عليها وانطلق من "فكرة أساسية نهضة مجتمع تتم في نفس الظروف التي شهدت ميلاده، وعلى هذا فإن إعادة بناء المجتمع المسلم الحديث لابد أن تنطلق من الفكرة الدينية كأساس لأي تغيير اجتماعي لهذا كانت الآية الكريمة مركز اهتمامه "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"الرعد 11"[7] . كان مالك صاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري، و كان مبدعا في تأسيسها وامتلكت أفكاره مكونات القوة بتركيزها على القضايا الأساسية والمحورية في العالم الإسلامي فاهتم بمشكلة حضارة كيف يكن أن نؤسسها على ضوابط أساسية بحيث لا يكمن لها أن تتزعزع مبنية على أصول إسلامية بعيدة عن الثقافة الاستعمارية ، والتبعية لها فكتب عنها في كل كتبه وبحث فيها وفي كل أبعادها، وأبدع فيها.

---

[6] معمر جبار ،مالك بن نبي ليس المضلوم في أهله ،صحيفة المثقف ،العدد5307، 17-03-2021، https://www.almothaqaf.com/a/b3d-2/947667

[7] **مصطفى عاشور،** مالك بن نبي.. فيلسوف مشكلات الحضارة،https://archive.islamonline.net/10392

من خلال هذا التغير نستطيع أن نبني حضارة و هذه الأخيرة تقوم على فكرتين أساسيتين هما الأفكار والثقافة، واعتبر أن الثقافة لها علاقة وظيفية مع الحضارة وهي المحيط الذي يعكس الحضارة وهي مرتبطة بالفرد والجماعة باعتبارها علاقة متكاملة بين نمط تفكير المجتمع و نمط تفكير الفرد وبالتالي الثقافة التي يكتسبها الفرد هي عبارة عن مجموعة من القيم الأخلاقية التي يكتسبها الفرد في البيئة التي يعيش فيها"و الثقافة إذا ما رددنا الأمور إلى مستوى اجتماعي هي حياة المجتمع التي من دونها يصبح المجتمع ميتا"[8] . و الثقافة عند مالك بن نبي هي عملية تربوية تهدف إلى التغيير الحضاري و بناء إنسان متحضر فكريا و أخلاقيا.

ومن هنا تكون عملية بناء حضارة على أسس فكرية معينة وهذا لن يكون إلا إذا عملنا بفكرة التغيير للفرد و المجتمع، طبعا لن يحدث هذا إلا عبر شروط معينة يسير عليها الفرد و المجتمع وهذا يؤسس لفكرة الحضارة واختلال هذه الشروط عند ابن نبيّ سيؤدّي لطغيان هذه العناصر بعضها على بعضٍ، وبالتالي الخلط في الأفكار التي من خلالها نؤسس للحضارة وبالتالي يبقى المجتمع في التبعية الفكرية و الاقتصادية و حدوث أمراض فكرية داخل المجتمع الواحد، و ظل أمله في التغيير معلقا في الفكر الإسلامي ، و يشير مالك بن نبي إلى المقياس العام في عملية الحضارة هو "ان الحضارة هي التي تلد منتجاتها"[9] مشيراً إلى أنه ليس من الواجب لكي ننشئ حضارة أن نشتري كل منتجات الحضارة الأخرى وضح ذلك في قوله " و سيوكون من السخف و السخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة ، حين نريد ان نصنع حضارة من منتجاتها "[10]

مفهوم الحضارة و شروط بنائها عند مالك بن نبي :

أما مفهوم الحضارة عند بن نبي فهو يعرفها"هي إنتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ"[11].و يعرفها أيضا "أنها جملة من العوامل المعنوية و المادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة تطوره"[12] إضافة إلى تشبيه الحضارة على أنها معادلة رياضية كما قلنا من قبل و قال أنها تساوي الإنسان والتراب والزمن"[13] ونلاحظ انه رفض أن يضع مصطلح المادة بدل التراب وهذا لما فيها من دلالة فهذا

---

8 عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي حياته وفكره، المرجع السابق ،ص308

9 مالك بن نبي ، شروط النهضة، دار الفكر، سوريا، 1979 ، ص 42

10 المصدر نفسه ، ص 42

11 مالك بن نبي مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر المعاصر ،لبنان ،الطبعة الثانية 2002،ص 41.

12 المصدر نفسه ، ص 42.

13 المصدر نفسه ص 44

المصطلح عادة ما يكون له صلة مباشرة بالمذهب المادي المعروف بالإلحاد ،و في نظره أنه يحدث تفاعلا بين العناصر الثلاث، ولكي نبني حضارة لابد من معالجة العناصر الثلاثة وهي الأساسية في نشوء حضارة و يحكمها مركب الحضارة هذا المركب كما يعتبره مالك بن نبي وهو العامل الديني فدوره يكون حول تماسك العناصر الثلاث المكونة للحضارة ،و فكرة الدين عنده هي التي تقوم بتربية الأفراد .

و هي بدورها تتحكم في ثلاث وظائف وهي الجهد الذي يسمح بتنشيط الديناميكية الحيوية للإنسان والاندماج للحفاظ على وحدة التلاحم داخل المجتمع، والتوجيه لضمان فعالية العمل الجماعي، فالفكرة الدينية تشكل القيم والمبادئ الاجتماعية لكل مجتمع و الحضارة لا تقوم إلا بوجود علاقات اجتماعية بين الأفراد فالدين له تأثير مباشر على الفرد سواء من الناحية النفسية او الاجتماعية .و فكرة الحضارة عند بن نبي هي من أهم الأفكار التي تحدث عنها في مشروعه الفكري وكان لها نصيب كبير في جميع كتاباته و مؤلفاته وأكد انه لا ينبغي التفكير في جميع الأفكار الأخرى بمعزل عن فكرة الحضارة .

هذا يعني لا يمكن فهم فلسفة مالك بن نبي، وتكوين المعرفة بنسقه الفكري، ومنظومته المفاهيمية، من دون الكشف عن نظريته في الحضارة، والإحاطة بهذه النظرية فهمًا ومعرفةً، وذلك على قاعدة "لا يمكن معرفة الفرع من دون معرفة الأصل الحاكم عليه" وباعتبار أن الفرع يرد إلى أصله[14].

أهم القضايا التي تكلم عنها مالك بن نبي :

تحدث مالك بن نبي عن قضيتين خطيرتين الأولى تتعلق بالأفكار الميتة و الثانية الأفكار المميتة وهي التي تعوق النهضة الإسلامية ،ورأى أن الأفكار الميتة التي تسكن العقول ولا تدفع حاملها الى أي مجهود أو نشاط فهي معلومات عقيمة متوارثة ، وهي أحد أسباب انحطاط الحط البياني الحضاري للأمة الإسلامية ،أما الأفكار المميتة فهي الأفكار التي تقتل الإبداع في النفوس بما لها من قدرة على الإخماد و كبح جماح العقول و الهمم،وهذه الأفكار المميتة تخلق العقلية الاستسهالية و تغيب القدرة التخليلية في فهم المشكلات المعقدة ,

وفي الأخير نجد أن مالك بن نبي قدم لنا مشروع فكري نخرج من خلاله من الجمود العقلي و العملي و يجب على كل فرد يؤمن و يؤسس لفكرة أن الإنسان هو

---

[14] زكي ميلاد ،فلسفة مالك بن نبي ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،المغرب ، www.mominoun.com/articles/فلسفة-مالك-بن-نبي-4557

صانع الحضارة ومن خلاله نتقدم و نلحق بالركب الحضاري للأمم و هذا كله لن يأتي من فراغ بل يكون عن طريق التغير و بذل جهد داخل المجتمع ، و العمل على تطبيق أفكار بن نبي و العمل بها علة غرار العديد من الدول التي عملت على تأسيس أفكاره و الأخذ بها غرار تركيا، ماليزيا، إيران وتكونت أجيال على أفكاره على العكس بلده الجزائر و كأن أفكاره لا تستحق أن تطبق في وطنه التي شخص فيها العديد من المشاكل ونقول أن هذا الفيلسوف رحل وبقي فكره .